﴿ حياة المرأة في الجاهلية ﴾

لقد بلغت المرأة في الجاهلية ، التى قضت حياتها في القفار والمهامه ، درجة لم تبلغها المرأة المتمدنة اليوم .

وقد تحلت بحلى الفضائل ، وتزينت بمزايا الاخلاق ، وكان لها من كل مكرمة وفضيلة اوفر نصيب ، لا بل فازت منها بالقدح المعلى والرقيب لا ، بل حازت قصب السبق وغلت مقداراً . و بلغت مابلغت من رفعة المكانة بحيث يعجز اللسان ان يقوم بالتعبير عن تعداد قضائلها . و يكل البنان دون سطر مفاخرها ، وتنميق مزاياها .

و كان لها من المنزلة والتأثير في اسرتها و بين قومها مايقضى المتأمل منه العجب . كيف وقد جعلت فاتحة الشعر حتى لاتكاد تخلو من ذكرها قصيدة .

وصاروا يذكرونها في غير مقامات الصبابة ، وفي حين لا دعى الى ذكرها بل في حين ليست للقلب فيه رقة غير الغلظ والشدة والقساوة . فمن ذلك قول عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى و بيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومن ذلك ايضاً ماقاله ذو الاصبع العدواني في ابن عم له كان يعاديه ، و يبغيه شرا ، فلما هاج به هائج الغيظ والغضب وعجز عن الكظم قال فيه قصيدة ، وهى مشهورة ، افتتحها بذكر امرأة له فقال :

يامن لقلب شديد الهم محزون امسي تذكر ريا ام هرون

واتبع ذلك بابيات في مثل هذا المعني وصف فيها الشوق والهيام ، وحرقة البعد ثم وقف فجأة فقال :

ولى ابن عم على ما كان من خلق مختلفان فاقليه و يقليني

الى آخر القصيدة ، والشواهد عَلَى ذلك كثيرة نجتزئ بما ذكرناه . وكفى به شاهداً عَلَى رفعة مكانتها عند قومها .

ولم تكن جاهلة بما كان لها من التأثير على افئدة قومها . بل كانت عالمة بذلك ، عارفة بمقدار السلطة التى لها على النفوس ، فكان تستخدمها لا لتبلغ بها مآربها كما يعرف ذلك من وقف على احوالها . وقد شاركت الرجل باكثر خصاله ومزاياه كالجود والسخاء والوفاء وشهود القتال والخوض في ساحات الوغى وذلك انها تحرض قومها على الثبات وتؤجج فى قلوبهم نار الغيرة والحميةِ من الاقوال الحماسية التى تهيج الجبان وتصيره فارساً كميّاً . خوفاً على نفسها الشريفة .

وقد ساوته ان لم نقل ابرت عليه في قول الشعر البديع الآخذ بمجامع القلوب والبلاغة الرائقة وجودة المعانى واطراد النسج ، وسلامة السبك وغير ذلك من الملاحة والرشاقة وكانوا يعترفون لها بالفضائل ولا ينكرون شيئاً منها وان غلبتهم فيها حتى ان النابغه الذبياني كان يضرب له قبة من ادم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء من كل فج عميق ، فتعرض عليه اشعارها فيفضل من يرى تفضيله ولما انشدته الخنساء في بعض المواسم قولها :

وان صخراً لتأتم الهداة به كانه علم فى رأسه نار

قال والله لولا ان ابا بصير « يعنى الاعشى » انشدنى آنفاً لقلت انك اشعر الجن والانس .

وقد نقل لنا التاريخ اسماء شواعر كثيرات تزينت بذكر مآثرهن الصحف . فمن راجع التاريخ وامهات كتب الادب يقف وقفة الدهش والاستغراب عندما يتأمل رفعة منزلتها التى بلغتها في تلك القفار .

وكان الاعشى اذا يقول قصيدة لم يجد بداً من عرضها على ابنته وقد كان ثقفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام ثم يقول لها عدي لى المخزيات فتعد قوله :

اغر اروع يستسقى الغمام به لو قارع الناس عن احسابهم قرعا

وما اشبهها من شعره .

بل ان امرء القيس نفسه لما اختلف هو وعلقمة الفحل في ايهما اشعر لم يجد من يحاكمه الا امرأته ام جندب فقالت لهما قولا شعراً على روي واحد ، وقافية صفا فيه الخيل فقال امرؤ القيس :

خليلي مرابي على ام جندب لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

وانشداها ، فغلبت علقمة فقال لها زوجها باي شيء غلبته قالت لانك قلت :

فللسوط الهوب وللساق درة وللزجر منه وقع اهوج منعب .

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك وزجرك وانعبته بجهدك . وقال علقمة :

فولى على آثارهن بحاصب وعيبة شؤبوب من الشد ملهب

فادركهن ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فلم يضرب فرسه ولم يمره بساق ولم يتعبه بزجر .

ومن الغريب : ماروواه المرزباني ، ان رجلاً كثير المال صحب عبدين في سفر فلما توسطا الطريق هما بقتله فلما صح ذلك عنده ، قال اقسم عليكما اذا كان لابد لكما من قتلي ، ان تمضيا الي داري وتنشدا ابنتي هذا البيت . قالا وما هو ؟ قال :

من مبلغ بنتي ان اباهما لله دركما ودر ابيكما

فقال احدهما للآخر ، مانرى به بأساً ، فلما قتلاه جاءا الي داره وقالا لابنته الكبرى ان اباك لحقه مايلحق الناس وآلى علينا ان نخبركما بهذا البيت ، فقالت الكبرى ما ارى فيه شيئاً تخبراني به ، ولكن اصبرا حتى استدعي اختي الصغرى ، فاستدعتها فانشدتها البيت فخرجت حامرة وقالت هذان قتلا ابي يامعشر العرب ما انتم فصحاء قالوا وما الدليل عليه ؟

قالت المصراع الثانى يحتاج الى اول، والاول يحتاج الى ثانٍ، لا يليق احدهما بالآخر. قالوا وما ينبغي ان يكون ؟

قالت ينبغي ان يكون :

من مخبر بنتى ان اباهما امسى قتيلاً في الفلاة مجندلا
لله دركما ودر ابيكما لن يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما ، فوجدوا الامر على ماذكرت .

و يمكنني ان اتخطى هذه الشواهد كلها التى فيها كفاية الى غيرها مما يناسب المقام. وذلك انه قد اجتمع مرة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب . واخذ يتعصب كل واحد لصاحبه و يجمع له في البلاغة قصب الرهان . فحكموا واحدة وكانت السيدة سكينة . فقالت لراوية جرير أليس صاحبك القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

واي ساعة اولى بالزيارة من الطروق ، قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت لراوية كثير ، أليس صاحبك الذي يقول :

يقر بعيني مايقر بعينها واحسن شيء مابه العين قرت

وليس شيء اقر لعيونهن . قبح الله صاحبك وقبح شعره .

ثم قالت لراوية جميل ، أليس صاحبك الذي يقول :

فلو تركت عقلى معي ماطلبتها وان طلابيها لما فات من عقلى

فما ارى لصاحبك هوى انما طلب عقله ، قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت لراوية نصيب ، أليس صاحبك الذي يقول :

اهيم بدعد ماحييت وان امت فياويح نفسي من يهيم بها بعدي

أما كان لصاحبك هم الا هم من يهيم بها ، قبح الله صاحبك وقبح شعره ألا قال:

اهيم بدعد ماحييت وان امت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

وهذا ، ولا جرم من افضل ماتعرف به حياتها الادبية في تلك القفار . فليت نساءنا اليوم يعرفن عشر معشار ماعرفته وعلمته الفتاة الناشئة في المهامه والفلوات ، من الآداب والفضائل . وسنأتى ان شاء الله تعالى عَلَى وصف حياتها المادية ور بما نشير هناك الى مايدل ايضاً على انها لا ادب لها مكتسب الا آدابها النفسانية . ولا حاجة بتكرار الدليل مرتين او اكثر هنا وهناك .

بغداد : محمد بهجت الاثري

— ﴿ خواطر الشهر ﴾ —

ولها سيئات

الاختراعات التى يفتخر بها الغربيون لها حسنات ولها سيئات ، تفيد من وجه وتؤذى من وجه آخر ، وكثيراً مايكون الضرر اعظم من النفع بما لايقاس .

هذه الاتوموبيلات التى يعدها الغربيون من الاختراعات المهمة — كثيراً ما جلبت الويل عَلَى البشريه .

مثال ذلك ان عدد حوادثها في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٠ فقط كان مليون و٥١٤ الف حادثة اتوموبيل ، منها ١٢ الف حادثه قاتلة — اي عَلَى معدل ٣ حوادث في كل دقيقة ، و ٣٣ حادثة قتل في اليوم .

هذه في الولايات المتحدة فقط ، اما في بقية العالم فالله اعلم بعدد ضحايا هذا الاختراع المهم .

ومن رأينا انه لايجب ان يفتخر احد باختراع — الا اذا كان يفيد ولايؤذي — وما اقل الاختراعات التى تخضع لهذا الشرط .

نقولا حداد والصحافة

نقولا حداد كاتب متفنن قدير ، مهدت له مؤلفاته العديدة ، ومقالاته المتنوعة ، شهرة كبيرة فى عالم الكتابة جدير هو بها ، وجديرة هى به .